مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 20 عدد: 01 سبتمبر 2024
العنوان: أبعاد ما بعد الكولونيالية في الرواية الجزائرية ص.ص.233- 251

أبعاد ما بعد الكولونيالية في الرّواية الجزائرية ـرواية "اللاز" للطاهر وطار أنموذجاـ

عتيقة مصطفى[1]
1ـ جامعة ابن خلدون، تيارت- الجزائر
bahdja.samira@yahoo.com
تاريخ الإرسال: 2024/02/19؛ تاريخ القبول: 2024/03/15

The dimensions of post-colonial algerianovel ,Allas of Tahar Wattar model

A. Mostapha

Abstract:

Altaherwattar is a writer and Journalist from Algeria. He is one of the most important and highly acclaimed figures in Algerian Literature. He denounced Algerias French language writers as vestiges of colonialism.

His literary work and his efforts in support of cultural expression have made him a key figure of the politically charged cultural scene in post independence Algeria. At the same time he was drawn to socialism and the notion of commitment.

Wattar published his first novel Al Las in 1974,is seen in this novel to insist on the demarcation of Algerian Literature. This approach expounded in post-colonial era as many voices rose against cultural hegemony.

Keywords: Algerian Literature; Colonialism; Socialism; post–colonial.

الملخص:

يعد الطاهر وطار كاتب وصحفي جزائري، وهو من أهم أعلام الأدب الجزائري، أدان الكتابة باللّغة الفرنسية باعتبارها من مخلّفات الاستعمار الفرنسي. ويبدو أنّ أعماله الأدبية وتجربته في دعم الثّقافة جعلت منه محلّ قلق لدى القائمين على الثّقافة خلال مرحلة ما بعد استقلال الجزائر وفي نفس الوقت كان متأثرا بالاشتراكية.

نشر وطار رواية "اللاّز" سنة 1974 وكان يسعى من خلالها إلى ترسيم الأدب الجزائري،هذه المقاربة حول الدّراسات ما بعد الكولونيالية كان لها ثمارها على الصّعيد الثقافي.

الكلمات المفتاحية: الأدب الجزائري؛ الاستعمار؛ الاشتراكية؛ ما بعد الكولونيالية.

مقدمة:

يندرج موضوع دراستنا ضمن ما يسمّى أدب ما بعد الكولونيالية "Post-colonialism"، وقد ظهر مصطلح ما بعد الكولونيالية ليعبّر عن تأثيرات الاستعمار في ثقافات المجتمعات التي خضعت له،ويعتقد العديد من الدّارسين أنّ صدور كتاب"الاستشراق" لإدوارد سعيد سنة 1978 كان له التّأثير الواضح في بروز تيار ما بعد الكولونيالية في النّظرية النّقدية. وقد وظّفت إستراتيجية "ما بعد الكولونيالية" في تناول الخطاب الاستعماري وفحص تأثيراته في المجتمعات المستعمرة واستجاباتها له في العديد من الأعمال الرّوائية (أشكروفت و آخرون، 2010، صفحة 282).

تحديد المفاهيم والمصطلحات:

لقد عرفت نظرية "ما بعد الكولونيالية" عدّة تسميات منها النّظرية الكولونيالية أو" الخطاب ما بعد الاستعماري" أو"الخطاب ما بعد

عتيقة مصطفى
bahdja.samira@yahoo.com

الكولونيالي"،إذ يستخدم المصطلح ليشمل كل ثقافة تأثّرت بعملية الإمبريالية منذ اللّحظة الكولونيالية إلى يومنا هذا.

لقد احتلت الدّراسات "مابعد الكولونيالية" حيّزا لا بأس به في الدّراسات الحديثة،وخاصة أنّها حاولت دراسة مجموع الآثار الثّقافية النّاتجة عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وعليه جاء هذا النّمط من الدّراسات ثورة فكرية ضد كل أنواع القهر الإنساني،قهر الفلاّح،قهر المرأة،قهر الضّعيف،قهر الإنسان غير الأبيض (راغب، 2003، صفحة 549)...

إنّ الهدف من هذه الدّراسات هو إعادة كتابة تاريخ مضّاد للدّراسات الكولونيالية،وقد شهد هذا النّوع من الدّراسات تطوّرا من خلال أعمال كل من إدوارد سعيد،هومي بابا وغياتري سبيفاك. وعموما تكتسي نظرية "ما بعد الكولونيالية" مفهوما معقّدا حيث يحدّد "ألان لوسون" المصطلح: "بكونه حركة تاريخية وتحليلية ذات باعث سياسي يتصارع مع الكولونيالية ويقاومها بهدف إبطالها على المستويات المادية والتّاريخية والفكرية والثّقافية والسياسية" (باستو، د.ت، صفحة 1).

ويعتقد "ستيفن سليمون" بأنّ أدب "ما بعد الكولونيالية" يشكّل نمطا من أنماط النّقد الثّقافي والتّحليل النّقدي،كما أنّه وسيلة لتحرير مجتمعات بأسرها من الهيمنة التي ترتدي أقنعة الهيكلة الثّقافية. وفي كتابه "أفكار ومفكّرون" يضع الباحث "كريس دوهمان " تعريفا مفاده أنّ "ما بعد الكولونيالية" حركة في النّقد الاجتماعي والأدبي التي تردّ على أثار الإمبريالية الأوروبية على الشّعوب المستعمرة،وأنّها تقدّم سردية مضّادة تتصل بالشّعوب المستعمرة سابقا".

يعتبر كتاب "الاستشراق" للمفكّر الفلسطيني "إدوارد سعيد" من الأعمال الأولى في مجال الدّراسات "ما بعد الكولونيالية" وتعزّز مجهوده بإصدار كتاب آخر بعنوان" الثّقافة والامبريالية"، كما أنّ أغلب المفاهيم المستخدمة في الخطاب ما بعد الكولونيالي وردت في

أعمال "فرانز فانون" وكان أهمّها (بشرة سوداء،أقنعة بيضاء، من أجل افريقيا،سوسيولوجيا الثّورة،معذّبو الأرض..).

كما تصنّف "غايا تري سبيفاك" من رواد المهتمين بالدّراسات "ما بعد الكولونيالية" حيث كان اهتمامها بالمهاجرين في البلدان المستعمرة والمرأة،كذلك المفكّر الهندي"هومي بابا" والذّي استعان بفكر" ميشال فوكو" في مجال البناء الثّقافي في تشكيل الخطاب الكولونيالي (مفقودة، د.ت، صفحة 13).

أمّا الرّواية الجزائرية فيقول عنها الطّاهر وطار:" الرّواية في الأصل فنّ لا نقول دخيل على اللّغة العربية، وإنما جديد في الأدب العربي اكتشفه العرب فتبنّوه مثلما اكتشفوا في بدء نهضتهم المنطق والفلسفة فتبنّوه" (عوض، 2004، صفحة 21).

وتعد الرّاواية استجابة ملحّة لتطلّعات جيل من الرّوائيين، ويشكّل الفنّ الرّوائي أحد مكوّنات المشهد الثّقافي الجزائري،اهتم بقضايا المجتمع وتحوّلاته التّاريخية، فلا يمكن تناول الرّواية الجزائرية بمعزل عن الظّروف الاجتماعية والسياسية للشّعب الجزائري،وقد التحمت الثّورة التّحريرية بالرّواية الجزائرية غداة الاستقلال من خلال معالجة قضايا الثّورة والتّأريخ لفترات هامة من تاريخ الجزائر.

أبعاد ما بعد الكولونيالية في الرّواية الجزائرية :

لقد شكّلت فترة السّبعينات المرحلة الحقيقية للنّهوض الرّوائي الفنّي في الجزائر مع روايتي "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدّوقة و"اللاّز" للطّاهر وطار وخاصة هذا الأخير والذّي منذ ظهور أعماله بدأ النّقاد في الجزائر والمشرق ينظرون بجدية إلى عناصر التفوّق والتفرّد التي طبعت أعمال الرّوائي الجديدة (بودية، 2007، صفحة 22).

عبّرت الرّواية الجزائرية ما بعد الاستعمار عن جميع أشكال الوجود بما في ذلك الإنسان،الثّقافة والهوية، وهي وليدة الإنسان والشّعوب التي سعت لتأكيد هويتها المفقودة من خلال الكتابة التي تحمل في

طيّاتها سرديات مواجهة لسرديات أخرى، والرّواية الجزائرية كغيرها من الرّوايات جاءت من أجل استعادة الثّقافة والهوية والتّاريخ.

لقد عبّر الرّوائيون الجزائريون عن واقعهم بكل تفاصيله وتعقيداته سواء بالعودة إلى الثّورة التّحريرية أو بالحديث عن التغيّرات التي طرأت على المجتمع الجزائري بعد الاستقلال (طيبون، 2015-2016، صفحة 34)، ظهرت الرّواية الجزائرية بفضل نخبة من الرّوائيين الذّين تناولوا مشاكل المجتمع الجزائري التي تسبّب في ظهورها الاستعمار الفرنسي، وقد عالجت الرّواية الجزائرية قضايا اجتماعية كالجهل والتخلّف والفقر وقضايا المرأة وقضية الدّين (الركيبي، 1983، صفحة 122).

ولقد تباينت الآراء بخصوص تأخّر ظهور الرّواية الجزائرية فترة ما بعد الاستعمار،ويذهب عبدالله الرّكيبي إلى تبرير ذلك على أساس أنّ الفن الرّوائي فنّ صعب، كما أنّه لا تتوفّر نماذج روائية جزائرية يمكن السّير على نهجها ،فحين يعتبر محمّد البصير أنّ السّبب هو ضعف تشكّل عقل الرّوائي (البصير، 1986).

ومهما يكن من أسباب تأخر ظهور الرّواية الجزائرية فلقد كان من جملة الرّوائيين الذّين سطع نجمهم بن هدّوقة،محمّد عرعار،الطّاهر وطار،عبد المالك مرتاض وغيرهم (الأعرج، 1986، صفحة 92)، وقد اتجهوا في معظمهم إلى دراسة الآثار التي خلّفها الاستعمار الفرنسي، وفي هذا السّياق يقول سعيد علّوش:" إنّ ما يدفع الرّوائي إلى البحث داخل الماضي له تعرّفه على نفسه،إنه يقرّر ما يمكن أن يفهم،وما يمكن أن ينسى للحصول على تمثيل الوضوح داخل الحاضر... وهدفه هو إعطاء هوية للّذي يحيا بواسطته هروبا من النّسيان الذّي رسمه الآخر على جسده" (علوش، 1981 ، صفحة 65).

ولقد تجلّت الإيديولوجيا بشكل واضح في جنس الرّواية،كما تمكّنت الرّواية من مواكبة التّناقضات الاجتماعية والأزمات الكبرى خلال

تطور المجتمع الجزائري، وهذا ما يفسّر أنّ مجموع الرّوايات الجزائرية المكتوبة بالعربية أوالفرنسية اهتمت بالقضايا السياسية، وهو الأمر الذّي تجلّى عند الطّاهر وطّار الذّي حاول رسم خط تاريخي للتطوّر الإيديولوجي في الجزائر، فانتقل من خطاب الثّورة وتصوير ما حدث في مرحلة النّضال إلى مواكبة مشكلات ما بعد الاستقلال ورفض أشكال القهر السياسي.

والجدير بالملاحظة أنّ الأعمال الرّوائية ما بعد الاستقلال كانت تنتمي إلى الاتجاه الملتزم المنحاز إلى الثّورة وواقعها المسلّح كرواية "أطفال العالم الجديد" لآسيا جبّار سنة 1962 ورواية " الأفيون والعصا"سنة 1965 لمولود معمري ورواية "أسلاك الحياة الشّائكة" لصالح فلاّح سنة 1967.

لقد عكست الرّواية الجزائرية باللّغة العربية فكرة "ما بعد الكولونيالية" وكانت المرأة والمستعمر والأنا والآخر والهوية من أهم القضايا فضلا عن التمزّق الذّي عاشه الأهالي، ومن أهم الأعمال الرّائجة في هذا المجال نذكر:

رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدّوقة (1970):

حيث أثار موضوع الثّورة وما يتصل بها من قضايا (الأرض،المرأة..)، وقد عالجت الصّراع بين الشّعب الجزائري والمحتلّين وبين الاشتراكية والبورجوازية.

رواية"اللاّز" للطّاهر وطار(1974):

حيث عالج قضايا وطنية شائكة صاحبت الثّورة الجزائرية وما ترتّب عنها من أوضاع اجتماعية،سياسية،وقد حاول الكاتب أن يبرز صورة الفرنسي الظاّلم المستبد (شريبط، 2003، صفحة 55). حيث ذكر الواسيني الأعرج أنّ الكاتب استطاع من خلال عمله أن يشكّل شخصيات بأشكال متنوعة تعمل جاهدة لتأدية دورها فعملت على تهديم الموروث الاستعماري وضرب الأخلاقيات الإقطاعية

البرجوازية واللاّز هو الوجه الآخر للجزائر المناضلة (الأعرج، 1986، صفحة 109).

رواية " نور اللّوز" لواسيني الأعرج (1983):

حيث جسّدت شخصيات الرّواية صراعات الأنا في مواجهة الآخر.

رواية "التّفكيك" لرشيد بوجدرة(1982) .

رواية "بوابة الذّكريات" لآسيا جبّار.

كذلك شكّلت الرّواية الجزائرية باللّغة الفرنسية أحد تمظهرات "ما بعد الكولونيالية" وسعت لاسترجاع مكانة الجزائري المهمّش في أغلب النّصوص الكولونيالية، وقد احتلت المرأة مكانة معتبرة من خلال أعمال"آسيا جبّار" و"مولود فرعون" الذّي تناول جوانب التمزّق النّفسي والفكري الذّي عاشه المجتمع الجزائري،ناهيك عن أعمال "ياسمينة خضرا" الذّي ركّز في أعماله الرّوائية على الصّراع الحضاري بين الجزائريين والمعمّرين.

لمحة تاريخية عن الطاّهر وطار:

ولد الطاّهر وطار الملّقب برائد الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية بتاريخ 15 أوت 1936 بقرية عين الصّنب بمدينة سوق أهراس، تلقّى في صغره تعليما دينيا فالتحق بمدرسة جمعية العلماء المسلمين سنة 1950، وسنة 1952 أرسله والده إلى معهد ابن باديس بمدينة قسنطينة لاستكمال تعليمه إلى أن التحق بصفوف ج.ت. وسنة1956.

كان مؤسسّا لعدّة صحف على رأسها صحيفة "النّداء" وصحيفة "لواء البرلمان" التّونسيتين ليأسّس سنة 1962 صحيفة أسبوعية مستقلة

اسمها"الأحرار" ،وبعد توقيفها أسّس صحيفة "الجماهير" ثم صحيفة "الشّعب الثّقافي" سنة 1974.

كان عضوا في اللّجنة الوطنية للإعلام بحزب جبهة التحرير الوطني بين سنتي 1963 و1984،شغل منصب مدير عام للإذاعة الوطنية الجزائرية عامي1991 و1992، ليتوليّ رئاسة الجمعية الثّقافية الجاحظية تطوّعا منذ 1989. حازت مؤلّفاته الأدبية على العديد من الجوائز أهمّها "جائزة الجاحظية الثّقافية" سنة 1989،و"جائزة الشّارقة لخدمة الثّقافة العربية" ثم "جائزة الأمم المتّحدة للتّربية والثّقافة والعلوم(اليونسكو) للثّقافة العربية" سنة 2005.

يعد وطّار من الأقلام المبدعة ولكن أيضا الثّائرة والمتمردة،وقد تجسّد ذلك في أعماله الرّوائية السياسية منها والتّاريخية والاجتماعية والتي انتقد من خلالها الثّورة الجزائرية من الدّاخل كما انتقد النّزعة الإقطاعية.

قضايا ما بعد الكولونيالية من خلال رواية اللاّز:

إنّ نصوص "ما بعد الكولونيالية" تهدف إلى تقويض الفكر الغربي وإعادة كتابة تاريخ المستعمرات بسرد مغاير ومضّاد لما قدّمه المركز الغربي، ويبقى السّؤال الأساسي هل استوفت رواية "اللاّز"كل خصائص الرّواية ما بعد الكولونيالية،وهل طرحت قضايا تقع في صميم نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالي؟ ،لقد حاول الطّاهر وطار من خلال تبنيه لرؤية جديدة في رواية "اللاّز" مقاربة الواقع الاجتماعي مواكبا تحوّلاته المختلفة فجاءت رواياته سجّلا شاهدا على التّاريخ، بدءا من رصد تناقضات الثّورة في رواية "اللاّز" وتتبّع مسار الإصلاحات في رواية "الزّلزال" و"العشق والموت في الزّمن الحرّاشي" مرورا بصراع السّلطة في "عرس بغل" وصولا إلى التطرّف الدّيني في رواية "الشّمعة والدّهاليز" ثم التّقوقع في روايته"الولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزكّي".

تعتبررواية "اللاّز" أول تجربة روائية لطاهر وطار صدرت عام 1974 حيث كانت الثّورة هي الهاجس المركزي الذّي يشكل فضاء هذه الرّواية حيث عالج الخلافات والإشكالات التي صاحبت مسيرة الثّورة الجزائرية (بوضياف، د.ت، صفحة 271)، ويرى المستشرق الروسي روبرت لاندا أنّ كل من رواية" اللاّز" و"الزّلزال"تعرف القارئ بالثّورة الجزائرية في مختلف مراحلها وبمرحلتين هامتين من حياة الجزائر المعاصرة (عتيق، فيفري 2011، صفحة 68).

تصور رواية اللاز الضوء على إسهامات الشيوعيين قي الثورة الجزائرية وعلاقتهم بالتحرر الوطني،تصور لنا رواية "اللاّز" حقبة من حقب الثّورة الجزائرية،تجري القصة في قرية جميلة وسط جبال من قرى الجزائر يموج فيها سكان طيبون وثائرون من أمثال " الشيخ الربيعي" التّاجر وابنه قدور وغيرها من الشّخصيات وخاصة "اللاّز" بطل الرواية و" زيدان" الذّي يقود الثّوار بنزعتة الاشتراكية. واللاّز هوالشاب اللّقيط فظ الأخلاق المنفور (فكر و آبادي، د.ت، صفحة 19)، و لقد احتوت رواية "اللاّز" على ثلاث مظاهر: الاستعمار، الثّورة والحرية.

لقد تجاوز الطاهر وطار من خلال روايته الرّومانسية الثّورية التي ميّزت كتابات الفترة مفضلا تقديم أفكار ومواقف سياسية حول الثّورة.ورغم أنّ الرّواية تبدو مؤثّثة بأحداث وشخصيات من وحي خيال الكاتب لكن المتابع لوقائع الثّورة الجزائرية يدرك أنّ الأمر عكس ذلك فيظهر طيف المناضل اليساري ونقيب المحامين في محافظة باتنة العيد العمراني- أعدمته الثورة 1956- متلبسا شخصية زيدان وهوما سيعترف به وطار في مناسبات عدّة.

وعنوان هذه الرواية يمثل تعبيرا عن ثقافة وطار الاشتراكية الماركسية من خلال فهمه لقانون وحدة الأضداد وصراعها.

تهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضّوء على هاجس من هواجس الكتابة عند الكاتب طاهر وطّار الذّي يعدّ من روّاد الكتابة في ظل نظرية ما

بعد الاستعمار والتّي تطرح العديد من القضايا الشّائكة للدّرس والمعالجة نحو: الهجرة والاغتراب،الهوية الوطنية،جدلية الأنا والآخر...

الهجرة والاغتراب:

يوحي الاغتراب بحالة نفسية تحمل معاني القطيعة والاستياء والعواطف المرهفة،وقد كان ملمح الاغتراب واضحا إذ أحدث أزمة الهوية التي عانت الانخلاع والانزياح وهي تبحث عن بناء المكان الخاص بها، حيث كانت نصوص رواية الزّلزال منفذا هاما لوصف المكان الذّي يشمل الثّقافة والهوية والتّاريخ، كانت مدينة قسنطينة حاضرة بقوّة في الرّواية حيث الفضاء المديني يتحدّد داخل النّص الرّوائي كمعمار وكمجموعة من العلامات الفضائية أو المنتجة للفضاء، حيث يصبح الفضاء النّصي هو المكان الذّي تتوزّع فيه العلامات المهاجرة (بوضياف، د.ت).

والواضح أنّ طاهر وطّار في روايته كان معني بما كان يدور في بداية السّبعينات من القرن العشرين من تحوّلات ومن صدمات إيديولوجية واجتماعية، ولذلك جعل من الرّواية فضاء متعدّد الأبعاد يشكّل مكانا لتوجيه مزدوج وديناميكي نحو النّظام الدّال الذّي أنتجه وكذلك نحو السّياق الاجتماعي والإيديولوجي، وقد ساهم معمار الرّواية في ترجمة هذه الحقيقة.

الدّفاع عن الهويّة الوطنية:

لقد تجسّدت مسألة الهوية ضمن اهتمامات نظرية "ما بعد الكولونيالية" بسبب ما تعرّضت له في ظل هيمنة المركز الاستعماري،حيث كان الفن الرّوائي من أهم الفنون السّردية التي تناولت مآزق الهوية وتأثيرات الاستعمار.

والملاحظ أنّ الهوية تتأثر بعوامل خارجية، ففي حالة الاستعمار تبنّى الكثير هوية الآخر مما يؤدّي إلى رفض الذّات والإقبال على الأجنبي،

وهذا الإقبال ترافقه مشاعر مختلفة بين الإحساس بالذّنب وبين كراهية الذّات (زكور، د.ت، صفحة 80).

والحقيقة أنّ شخصية اللاّز هي رمز للجزائري الذّي فقدهويته،يعيش ويترعرع في أحضان الفقر يدخل في الثّكنة ويتعاون مع ضابط فرنسي يحتل القرية مع جنوده. من جهة ثانية خروج اللاّز من محنة الماضي بعد لقائه بأبيه زيدان أدخله في محنة أخرى وهي البحث عن سبل الانتماء للوطن لأنه كثيرا ما آلمه كره الناس واحتقارهم له فحاول كسر هذه المعاناة بالانضمام إلى الثّورة (وطار، 2007، صفحة 7).

ويتضح من خلال الصّور التي يقدّمها الرّوائي أنّهناك شخصيات كانت تخون الوطن بالانضمام إلى الثّكنة الفرنسية لكنهم يشعروا بالنّدم وينضموا إلى صفوف الثّورة،ويمثّل بعطوش هذه الخيانة لأنه كان راعيا للعجول ثم جنّد في صفوف الجيش الفرنسي لكنهتراجعوالتحقبالثّورة ليحقق إنجازات فيالكفاح باغتيال القبطان وإشعال براميل البنزين. حيث استغلت فرنسا بعطوش واستغلت ضعف شخصيته ورغباته الجامحة في الارتقاء فجعلته سارجان مقابل قتله أم اللاز واغتصابه خالته حيزية لكنه بعدها دخل في أزمة نفسية (شرقي، د.ت، صفحة 292).

من جهة ثانية استحضار وطار في روايته لبعض جوانب التراث اللامادي للجزائر وهو جزء من مكونات الهوية الثقافية من خلال توظيف المثل الشّعبي كقوله "ما يبقى في الوادي غير حجاره" و"سال المجرب ولاو تسال طبيب" وكانت الأمثال تحقق المتعة الروحية والجمالية للخطاب السردي دون إغفال جانبها الدلالي المتمثل في إسقاط الواقع الاجتماعي والسياسي الجزائري أثناء الثورة وبعدها. فمحمولية توظيف المثل الشعبي في اللاز انطلقت من فكرة الشعب هو الوريث الأوحد لجميع الإبداعات والمكتسبات (وطار، 2007، صفحة 150).

اللّغة:

تعد اللّغة حاضنة الهوية لذلك حاول المستعمر طمس الهوية الثّقافية العربية،ويعد الطّاهر وطار من كتّاب "ما بعد الكولونيالية" الذّين تمسّكوا باللّغة العربية ورفضوا الكتابة بلغة الآخر،وقد امتزجت وتغيّرت اللّغة عند الرّوائي وكانت تتحوّل من حيث أنماط السّلوك من فترة إلى أخرى.ويبدو أنّ الرّواية هي نوع من التّدوين لحقبة تاريخية من استقلال الجزائر، فحتى اللّغة تكاد تخلو من الجرعات الشّعرية والشّطحات الفنيّة والتي تشعرنا أننّا أمام عمل توثيقي يستنطق الشّخوص.

فبالنسبةللمهتمين بالدّراسات مابعد الكولونيالية تعدّ روايات وطّار خطوة عملية لتشكيل الهويةالجزائرية ما بعد الكولونيالية المتبنية لقضية العروبة حيث كانت روايات وطّار مادة اختبارية حيوية لمساءلة قضية اللّغة.

علاقة المسموح بالممنوع(العادات والتّقاليد):

إنّ الحديث عن المسموح/الممنوع في رواية الطّاهر وطار يقودنا للحديث عن العادات والتّقاليد،فقدور رغم حبه لزينة إلا أنه اكتفى بمغازلات بريئة حيث التمس من أمه أن تخطبها له على الأصول الاجتماعية المعروفة في التقاليد الجزائرية،فقدور يجسد السلوك التقليدي المحتشم (بوفلاقة، 2021، صفحة 678).

وفي ذات السياق تتمحور شخصية "قدور" في علاقته بالمرأة فهو من جهة يكن محبة غريبة لأمه لكنه أيضا بعيد عن هذه المثالية من خلال خيانة جاره " الشايب السبتي" بإقامته علاقة مريبة مع ابنته زينة" ". تأملها في نهم وأسى ثم أفسح لبسمة وهمس: وحدك- هيا أمي راقدة وسيدي في الجامع".

الدّين (علاقة التحرر بالقيد أو المحرم بالمباح):

يعد الدّين من أهم ركائز الهوية ويمثل مستودعا للقيّم الأخلاقية الفردية والجماعية، و يمكن أن نلمس في رواية اللاز دلالة ثقافية فكل

شخصية من شخصيات الرواية لها حظ التدين وهي صفة أصيلة في الإنسان الجزائري حتى عند زيدان نفسه الشخصية الشيوعية،حيث نجده يكن احتراما كبيرا للدين الإسلامي ويحتفظ بعاطفة دينية تربطه بالإسلام ورموزه الأساسية رغم أنه عند مقتله كان يردد نشيد الأممية قائلا:

انهضوا معذبي الأرض.

هبوا أيها المحكموم عليكم بالجوع.

إنها حمم النهاية.

تتحرك الحمولة الفكرية لقدور –أحد الفواعل – في شبكة علاقات ينتهي أحدها ليخلفها الآخر من خلال النص القرآني " تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب" – سورة آل عمران-. وهي جدلية المناوبة بين أجيال تحمل وتبلغ أفكارا.كما يحاول الكاتب تصوير الاعتقاد لدى الآخر وفق واقع تهتز فيه مدلولات المبادئ والقيم مستلهما من النص القرآني قوله تعالى " وكتبنا له في الألواح من كل شيئ موعظة وتفصيلا لكل شيئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين" - الأعراف-.

من جهة ثانية تجسد شخصيات وطار حالة الاستلاب والاغتراب الروحي لا مكان للدين في حياتها فشخصية قدور في رواية اللاز كان يحب السهر في المقاهي.. ولا في الجامع حتى في رمضان تحت جدار منزله بالقرب من دار زينة (مرتاض، 1967، صفحة 56)، ومثله اللاز الذي لا يؤمن بالقيم الدينية ويؤمن بالكذب والافتراء كشريعة للانتقام من الشامبيط الذي ضربه مائة جلدة. ومثله قدور الذي يعتبر الانضباط شيئ والتزمت الديني شيئ آخر، ويبدو أنّ الحقد على القيم الدينية يزداد حدة في الجزء الثاني من الرواية (العشق والموت في الزمن الحراشي) أين يصبح كل متمسك بالدين رجعي كما وصف

بوزيد "أيها الرجعي الخسيس إنك تتآمر مع الشياطين ضد الوطن وضد مصلحته" (وطار، 2007، صفحة 25).

التّاريخ (علاقة الماضي بالحاضر):

لقد شكّلت الكتابة "ما بعد الاستعمار" وسيلة للكشف عن السّطو والقهر الذّي قام عليه الاستعمار، فكانت مهمّة كتّاب "ما بعد الكولونيالية" استعمال خطاب مضّاد بالاعتماد على التّاريخ، والذّي تكمن قيمته في كونه يحيطنا بأعمال الإنسان في الماضي، ومن ثمّ بحقيقة هذا الإنسان (وطار، رواية العشق والموت في الزمن الحراشي، د.ت، صفحة 102)؛ (عطية، 1977، صفحة 94). فالرّواية ما بعد الاستعمار لم تكن تهدف إلى نقل التّاريخ بقدر ما كانت تسعى لتصحيحه وتخليصه ممّا لحق به من تشويه وتزييف.

يرى أصحاب النّزعة التاريخية أنّ التاريخ والرّواية مترابطان ترابطا عضويا، ولا يمكن الفصل بينهما، رغم أنّ الرّواية الجديدة ترفض أن تربط نفسها بالتّاريخ، ومهما يكن تظلّ الرّواية قصّة خيالية ذات طابع تاريخي عميق (وتار، 2012، صفحة 101).

ويعد الطّاهر وطار من الرّوائيين الجزائريين الذّين وظّفوا التّاريخ بأبعاده المختلفة، ويتمحور السّرد التّاريخي على موقف الاشتراكية الدّولية من ثورة التّحرير، ونجد الشّخصية الأساسية في رواية "اللاّز" تتحرّك ضمن الثّورة التّحريرية وما صاحبها من أوضاع سياسية واجتماعية، كما عمد إلى قراءة جانب من تاريخ الثّورة بالاستعانة بالسّرد الرّوائي من خلال توظيف "حمدان قرمط" مؤسس الحركة القرمطية في رواية "عرس بغل" (بورقبة، 2019، صفحة 191).

توقفت الكاتبة ديبي كوكس"Debbie Cox" في كتابها" السياسة،اللغة،والنوع في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية (Debbie, 2002) عند رواية اللاز لتدرس إشكالية التعامل مع التاريخ وقداسة الثورة ومكانةالنخبة الفرانكفونية.

تعد رواية اللاز تصوير حقيقي عن تاريخ الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي وثورة الجزائر وكفاحها وهي تصوير خارجي للصراع بين الشعب الجزائري والاحتلال الفرنسي وصراع داخلي بين المقاتلين الجزائريين باختلاف انتمائتهم العقائديةوالفكرية،فالروائي يصور وضع مجتمعه نتيجة الاستعمار والاستبداد في فقرة على لسان حمو الذي يريدأن يسوق قدور إلىالجبهةالوطنية ضد الفرنسية " الوضع الذي أصبح عليه الناس منفقر وبؤس وعري وجهلومرض وظلم وجور" (وطار، اللاز، 2007، صفحة 41).

لقد وظف وطار تقنية " الفلاش" في عملية الاسترجاع بترك حاضر السرد والعودة إلى بعض الأحداث الماضية حيث يعبّر الزمن في اللاز عن مرحلة عاصفة من واقع الحياة السياسية في الجزائر فقد رسمت لنا متخيل حقبة من حق العمل الثوري ما بين 1945-1962،وقد ارتبطت تقنية الفلاش باك بشخصية الشيخ الربيعي الذي يعود إلى زمن الثورة وزمن الحرب. لقد حمل الروائي شخصية الربيعي مسؤولية سرد أحداث الثورة (القصراوي، 2004، صفحة 74).

الأنا والآخر:

في ظل الخطاب "ما بعد الكولونيالي" تنامت دراسات تستهدف الآخر باعتبار أنّ كل ما هو خارج عن الأنا هو الآخر،إذ حاولت دول العالم الثّالث النّهوض بآدابها في محاولة لرد الاعتبار للأنا الوطني والقومي، لقد ظلّت ثنائية الأنا والآخر حاضرة في المتن الرّوائي العربي والجزائري،وكانت من الثّنائيات التي أثيرت في كثير من الأعمال لدى "محمّد ديب"،" مولود فرعون"،" الطّاهر وطار"،"آسيا جبّار".

والمتتبّع لروايات مرحلة التّأسيس يلاحظ مدى تركيزها على الصّراع القائم بين الأنا والآخر وهي حقيقة تاريخية أوجدها الاحتقان العدائي للآخر الفرنسي بسبب تسلّطه وهمجيته، فالآخر المستعمر عمل منذ البداية على تجريد الأنا الوطني من رموز هويته.

تروي روايات الطاهروطار ظمأ اللآخرالمتعطش لمعرفة أبجديات الثورة الجزائرية تاريخياوسياسيا واجتماعيا.

والحقيقة أنّ الرواية تناولت صوت الآخر محليا فصوت الشيخ في "اللاز" علا فوق صوت زيدان والشيخ ممثل للتيار الإسلامي أما زيدان فه يمثل الشيوعية (أدونيس، 1993، صفحة 191).

النّقد الذاتي:

في رواية "اللاّز" يرتكز حلم وطار على ضرورة تغيير الأوضاع عبر تلك القناعة الفكرية والإيديولوجية التي سيطرت على شخصية زيدان وأتباعه بشكل متباين فالقارئ لروايات وطار يقف عند بعض الإجراءات النّقدية تتناسب والتوجه اليساري المشبّع بالقيم والمبادئ الإشتراكية. ولعل تكرار مثل "ما يبقى في الوادي غير حجاره" دلالة على انتشار الوعي الطبقي بين الأوساط الشّعبية. ويواصل الطاهر وطار في رواية اللاز التطرق إلى وضعية الثورة بعد الاستقلال من خلال بروز الحركة الطلابية ذات القناعة الإيديولوجية ممثلة في شخصية "جميلة" الطالبة الشيوعية و"ثريا" اليسارية المتطرفة مقابل الفكر الديني المتعصب.

لم يكن الحديث عن الثورة الجزائرية حديثا جاهزا ممجدا بل ينطلق من فكرة النقد الموضوعي لأحداث وقعت،وتشكل شخصية زيدان من خلال نظرته للثورة من منظور شيوعي مرحلة لتعرية بعض الوقائع والأفكار التي تستبد بالفكر العربي أوالفكر الإنساني.

ثنائية الجندر(المرأة والرجل):

لقد عرف المجتمع الجزائري بتسلّط العنصر الذّكوري على عنصر الإناث،وقد تناول وطّار المرأة في ثنايا روايته، حيث ظهرت لنا منسحقة مطموسة لا شأن لها ولا قيمة،إنما وجدت من أجل الإنجاب

وإطفاء الشّهوة الجنسية للرّجل،وتجسد ذلك من خلال الشّخصية الرئيسية للرّواية وأبيه وجدّه،حيث أمعنوا في قمع المرأة وتجريدها من إنسانيتها.

في الرواية يبدأ المشهد الحواري بجملة تخاطب الأم حليمة بعبارة "زغردي أمي حليمة زغردي" وأم اللاز في الرواية تحمل داخل أمومتها اللاشرعية كائنا إنسانيا قبيحا في مفهومه الشعبي مما أدى إلى تصوير اللاز في حد ذاته بمظاهر القبح والوحشية "هذا اللقيط الذي لا يتذكر حتى أمه وأبوه من هو،وكأنما التقطته من الرماد مثل الدجاجة" (وطار، اللاز، 2007، صفحة 2).

لقد كانت الثورة الفترة الذهبية في تاريخ المرأة الجزائرية وتحولت الدلالة من المرأة كفعل سلبي إلى المرأة كفعل إيجابي. في إشارة إلى الثورة التي تمثل الخياة بالنسبة للشعب الجزائري المقهور (بورديار، د.ت).

الخاتمة:

إنّ الاطلاع على رواية "اللاز" للطّاهر وطّار ودراستها في سياق الدّراسات "ما بعد الكولونيالية" أتاح لنا فرصة تسجيل الاستنتاجات التالية:

- تعد رواية "اللاز" للطّاهر وطار من الرّوايات البواكير في المدونة الرّوائية العربية بالجزائر،وقد اتسمت بميسم الواقعية الاشتراكية.

- تندرج أعمال الطاّهر وطار في سياقات مختلفة،لتؤرّخ لكل التحوّلات والسيرورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثّورة المسلحة إلى الاستقلال.

- حاول الطّاهر وطار من خلال روايته أن يضعنا أمام مجتمع تعرّض للاستعمار، وهو يحاول الخروج من تلك التّجربة القاسية.

- استوفت رواية "اللاز" للطّاهر وطار كل خصائص الرّواية ضد الكولونيالية، واستجابت لمعايير الخطاب ما بعد الكولونيالي والذّي يقوم أساسا على إدانة الواقع وكشف زيفه ومحاكمته وتفكيك الخطاب الاستعماري.

- طرح الرّوائي قضايا في صميم نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالية(الهوية، الأنا والآخر، الاستعمار).

المراجع:

1. أدونيس، (1993). **النظام والكلام**، (ط 1). بيروت: دار الآداب.
2. أشكروفت بيل ، و آخرون. (2010). **دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية**. ترجمة: أحمد الروبي وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
3. الأعرج واسيني، (1986). **اتجاهات الرواية العربية في الجزائر**، (د.ط). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
4. باستو ماريا بين بدينا، (د.ت). **فانون هومي بابا، تجاذب الهوية وجدل في تفكرها ما بعد الكولونيالي**.
5. البصير محمد، (1986). **الموقف الثوري(1970-1982) (أطروحة ماجستير)**. الجزائر.
6. بوديار عادل، (د.ت). **الانتماء الإنساني في الثورة الجزائرية، قراءة في رواية " اللاز" للطاهر وطار**.
7. بودية إدريس، (2007). **الرؤية والبنية في روايات طاهر وطار** (د.ط). الجزائر: سحب الطباعة الشعبية للجيش.
8. بورقبة مريم، (جوان , 2019). «واقع التاريخ في الرواية الجزائرية "الطاهر أنموذجا"»، **مجلة رفوف**، 7(2).
9. بوضياف غنية، (د.ت). **الأبعاد الدلالية في رواية اللاّز للطاهر وطار**.
10. بوفلاقة محمد سيف الإسلام، (ديسمبر, 2021). «تلقي رواية (اللاز) للطاهر وطار في الخطاب النقدي المعاصر-قراءة وصفية تحليلية لنماذج مختارة». **مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية**، 4(4).
11. راغب نبيل، (2003). **موسوعة النظريات الأدبية لمكتبة لبنان**، (ط1). لونجان: ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر .

12. الركيبي عبد الله، (1983). **تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974** (ط1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
13. زكور محمد، (د.ت). الرواية الإفريقية ما بعد الكولونيالية وتشكل صورة الآخر.
14. شريبط أحمد، (2003). **دراسات ومقالات في الأدب العربي الجزائري** (د.ط). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية.
15. شرقي منيرة، (د.ت). الزمن النفسي في رواية اللاز للطاهر وطار.
16. طيبون فريال، (2015-2016). **نظام الشخصية في روايات الطاهر وطار، البناء والدلالة (أطروحة دكتوراه)**. جامعة سيدي بلعباس .
17. عتيق مديحة، (فيفري 2011). «الرواية الوطارية من منظور استشراقي». ورقة عمل مقدمة إلى **الملتقى الدولي الخامس في تحليل الخطاب"الخطاب الروائي عند الطاهر وطار**. مجلةالأثر "عدد خاص".
18. عطية محمد أحمد، (1977). **البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة** (ط1). دمشق: وزارة الثقافة.
19. علوش سعيد، (1981). **الرواية والإيديولوجيا في المغرب 1960-1975**. بيروت: دار الكلمة للنشر.
20. عوض لينة، (2004). **تجربة الطاهر وطار الروائية(بين الإيديولوجيا وجماليات الرواية)**. عمان.
21. فكر كبري روشن ، وآبادي علي رضا كاوهنوش، (د.ت). **الجزائر والثورة في رواية اللاز**.
22. القصراوي مها، (2004). **الزمن في الرواية العربية**، (ط1). لبنان، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
23. مرتاض عبد المالك، (1967). **عناصر التراث الشعبي في اللاز**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
24. مفقودة صالح، (د.ت). **أبحاث في الرواية العربية.**
25. وتار محمد رياض، (2012). **توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة،-دراسة-**. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
26. وطار الطاهر، (2007). **اللاز**. الجزائر: موفم للنشر.
27. وطار الطاهر، (د.ت). **رواية العشق والموت في الزمن الحراشي**.
28. Debbie, C. (2002). Politics,Language ;and Gender inAlerianArabic Novel. Edwin MellenPress.